هذا فصل كتبه د. سيد العفانى عن كتابى "لكن محمدا لا بواكى له" فى الكتاب التالى:

)سلسلة: شراب النسيم مع النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم -
وَامُحَمَّدَاهُ
{إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ}
تأليف
الدكتور سَيِّد بن حُسَين العَفَّانيّ

المجلد الأول
الناشر
دار العفاني(

خليل عبد الكريم وكتابُه الأسود فترة التكوين في حياة الصادق الأمين

خليل عبد الكريم كاتبٌ يَسَاريٌّ، يَدُسُّ السُّمَّ في العسلِ، ويتطاوَلُ هذا القِزمُ على مَقام سيِّد الأنبياء، فيُلْقِمُه الحَجَرَ الدكتورُ إبراهيم عوض في كتابه: "ولكنَّ محَمَّدًا لا بواكيَ له .. هَتْكُ الأستار عن خَفايا كتاب "فترة التكوين في حياة الصادق الأمين".

° قال الدجَّالون الكذَّابون: إن كتاب رَفِيقهم خليل

عبد الكريم "فترة التكوين في حياة الصادق الأمين": "يُدافعُ عن الإِسلام، ويَجلُو وجهَه الصحيح"!.

لكنَّ المؤلِّفَ يَذكر أن هذا الكتابَ من أوَّلِه إلى آخِرِه إهانةٌ لسيد البشر - صلى الله عليه وسلم -، واستهزاءٌ شديدٌ به، لم تَشهدْ مِصرُ والعالَمُ الإِسلاميُّ له مثيلاً، وحتى جاءت رسومُ الكاريكاتور الدانماركية، ويتساءل: أين الكرامة؟ أين العزَّة؟ أين حُبُّنا لنبيِّنا ودينِنا؟ ماذا سنقول لربِّنا إذا وَقَفْنا أمامَه وسألَنا: كيف رَضِيتم أن يُهانَ رسولي على مرأى منكم، ثم لا تُحرِّكون ساكنًا؟ ويَرى أن المسألةَ ليست مسألةَ إيمان وكُفر أو حريةِ عقيدةٍ وتعبير؛ لأنَّ كلَّ إنسان حُرٌّ في أن يؤمنَ بما يشاءُ ويَكفرَ بما يشاءُ، بل المسألةُ مسألةُ سفاهةٍ ورغبةٍ في إهانةِ الرسول الأكرم.

وقد أستوحى المؤلِّفُ عنوانَ كتابه "لكنَّ محمدًا لا بواكيَ له" من عبارة الرسول العظيم - صلى الله عليه وسلم - التي قالها بعد انكسارةِ "أُحُد" حين رأى نساءَ المسلمين آخِرَ النهار يَبكِينَ الشهداءَ إلَّا حَمزة، فلم يكن يَبكِيه أحدٌ، فقال - صلى الله عليه وسلم متوجِّعًا: "لكنَّ حمزةَ لا بواكي له"، فعندئذ بَكَتْه الباكياتُ أشدَّ البكاء.

*** الردُّ على كتاب "فترة التكوين":**

يُشير المؤلِّفُ إلى أنَّ خليل عبد الكريم لم يكن سِوى مجردِ محام مغمور، حتى شَرَعت بعضُ الصحفِ اليسارية تنشرُ له المقالاتِ والأحاديث التي تَلمِزُ القِيَمَ الإسلاميةَ مِن طَرْفٍ خَفيٍّ، ولم يكن له إسهامٌ في مجالِ الفِكرِ والكتابة، إلى أن

ظَهَر فجأةً بعد أن أصبحَ شيخًّا كبيرًا؛ حيث لم يكن لمقالاتهِ قيمة كبيرة في أسلوبها ومضمونها وبنائِها الفِكريِّ، ثم انقلب الحالُ فجأةً، وصدرت كُتبٌ أسلوبُها مختلفٌ تمامًا، ومخدومةٌ من ناحية المصادر.

ويَرصُدُ المؤلِّفُ مفارقةً شكليةً هي: أن كُتبَ عبد الكريم يجتمعُ فيها غَريبُ الألفاظِ والصِّيَغ، مع الجهلِ بأصول النحو والصرف، مستنتِجًا أن هناك أكثرَ مِن يدٍ تشتركُ في تأليفِ هذه الكتب، وبالنسبةِ لكتاب "فترة التكوين" فإنه يستبعدُ أن يكونَ مؤلِّفُه مسلِمًا؛ إذ فيه من الإساءةِ الجارحةِ للنبي - صلى الله عليه وسلم -، ومن التفسيراتِ العجيبةِ لنبوَّته ما لا يمكن صُدورُه إلَّا من مبشِّر مُتعصِّبٍ مَطموس البَصَر والبصيرة، وهو ما يَعرضُ الأدلةَ عليه في الصفحاتِ التاليةِ للكتاب.

وُيعطِي بعضَ الأدلةِ على استخدام الكلماتِ الغريبةِ مثل كلمة "اليعسوب" التي من معانيها في الاستعمالاتِ المَطمورة في طَيَّات المعاجم "الرئيس الكبير"، وتُستعملُ الآنَ في عِلم الأحياء عند الحديث عن النَّحل وعَسَلِه، فتَعنِي "مَلِكةَ النحل" والكلمةُ هي في الواقع للأنثى لا للذكر، لكنْ صاحبُ كتاب "فترة التكوين" لَقَّبَ بها ورقةَ بنَ نوفل؛ لأنه -حَسْبَ إفكِه- هو الذي تولَّى كِبْرَ تثقيفِ محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - أو "قَلْوَظَتُه وصَنْفَرتُه وتلميعه" بُغيةَ "تصنيعه" نبيًّا، والحقُّ أن "ورقةَ" كان رجلاً شريفًا نبيلاً، عندما استبان له أن محمدًا نبيٌّ من عند ربِّ العالمين آمنَ به، وأعلنها مُدوِّيةً- وهو الشيخُ الطاعنُ في السنِّ- أنه إذا امتَدَّ به العمُرُ، فسوف يَنصُرُه ويؤازِرُه ضدَّ سفهاءِ قومِه الذين يُؤذُونه.

* **غرائب اللغة**:

° وكَرَّر صاحبِ كتاب "فترة التكوين" كلمة "النسوان" وأسقط أَلِفَها في عشراتِ المواضع، وجعلها "نسون"، ويحاولُ أن يتحذلقَ دائمًا في الحديث كقوله: "من المحال أن يتَّصفَ المنتظَرُ - أي: النبي المنتظر- بأه مُهتَلسُ العقل، أو هِجزع أو ذو زعارة"، وقوله مرارًا: "الأيئة" عوضًا عن الهيئة، وهو ما لم يَجدِ المؤلِّفُ له تفسيرًا، إلَّا أن كاتب "فترة التكوين" قد ارتدَّ طفلاً لا يَقدِرُ على نُطق الهاء!.

° ومِن دواعي جَهلِه قولُه عند كلامه عن الرسول الكريم، وحُسن منطقِه، وفصاحةِ لسانه: "إنَّ "ميسرة" قد تحدَّث إلى خديجة عن "رهافة مذرب محمد" يقصد رهافةَ لسانهِ - صلى الله عليه وسلم - .. أفلم يَجِدْ إلَّا كلمةَ "مذرب" التي تَدلُّ مْعظمُ اشتقاقاتِ مادَّتِها على سَلاطةِ اللسانِ والبذاءة.

° وهناك أمثلةٌ على التحذلق بغرائبِ اللغة مع الجهل بقواعِدِ النحو والصرف، مثل: "بَيْدَ أنه فتًى يَفيضُ شبابًا وقوةً وحيويةً وسيمًا قسيمًا"، وصوابها: "وسيم قسيم"؛ لأنهما النعتان الثاني والثالث لـ "فتى"، أمَّا النعتُ الأول فهو "يَفيضُ شبابًا"، و"يقع تحت تأثير عَمَّاته؛ إذ تُعلن له .. " وصوابها "يُعلن": "ولا تعصي له أمرًا، ويا فلان"، وصوابها: "لا تعص" بحذف الياء من آخِر الفعل على البناء للأمر، وقوله: "إن هذا ما يؤكِّدُه علماءُ الفِرنجة المدقِّقين في تواريخ الأديان"، بدلاً من "المدققون" التي هي نعت لـ "علماء الفرنجة"،

وكذلك قوله: "ما لك مسرع؟ ما لك مسرو؟ بدلاً من "ما لك مسرعًا؟ ما لك مسرورًا؟ " بالنصب على الحالية.

° كما يقول عن خديجة - رضي الله عنها -: "إنها قد تيقَّنت على بَكرةِ أبيها بنفسِها من فصاحةِ محمد - صلى الله عليه وسلم - أيامَ كان يَشتغلُ في تجارتِها قبلَ أن يتزوَّجها".
فماذا يعني بعبارة "على بكرة أبيها؟ "، إننا نقول مثلاً عن جماعةٍ من الناس: "جاؤوا على بَكْرةِ أبيهم"، أي: لم يتخلَّفْ منهم أحد، أمَّا أن يقالَ عن شخصٍ واحدٍ: "إنه جاء على بكرة أبيه"، فهذا هو البَلَهُ بعينه، "غِلٌّ على الإِسلام والنبوة".

° ويؤكِّدُ المؤلِّفُ أن الكتابَ فوقَ ذلك يَفيضُ بالوقاحة -حَسْبَ تعبيره- والغِلِّ الغليلِ على الإسلام ورسوله، ورموزه الكريمة، ويذكر بعض الأمثلة منها: "هذا الكتاب يقدِّمُ رؤيةً جديدةً، نزعمُ أنها غيرُ مسبوقةٍ لحلِّ هذا اللغز، الذي ملأ الدنيا، وشَغَل الناس"، يقصِدُ باللغز: نبوَّة سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -!!.

° وقال: "بدأنا مع محمدٍ قبلَ أن يلتقيَ أبوه بأمه، ثم وهو جَنينٌ في بَطن أمه، ثم صاحَبْناه ليلةَ مولده، ثم وهو مولود، ثم طفلٌ، ثم صبيٌّ، ثم شابٌّ، حتى التقطته سيدةُ قريش"، فتصور الوقاحةَ أن سيِّدَ الأنبياء، وكأنه صبيٌّ متشرِّدٌ يَهيمُ على وجهٍ دون أهل أو مأوى!!.
° وقال: "إن هاجس قيام شابةٍ بكر أو ثَيِّب مِثلها في "بكة"، أو ما حولَها بنَشلِ الحبيبِ المصطفى،

ونِكاحِهِ أَرَّقَ خديجةَ، وطَيَّرَ النومَ من عينيها الاثنتين".

° وهي لُغةٌ سُوقيةٌ ساقَها الكاتبُ على لسان خديجة أمِّ المؤمنين - رضي الله عنها -: "مِن ألزم اللازمِ أن أنكِحَه، بل وأسارعَ حتى لا تَنتِشَه منِّي إحدى عذراوات أو أيامى قريش".
تبيَّن لنا أن سيدة قريش "خديجة" جَفَّ ريقُها، وحَفِيت قَدماها، وداخت السَّبْعَ دُوخات، حتى وافق إمامُ الأولين والآخِرين على خطبتها".

° "إن هذا الحَشدَ القويَّ .. وهذا الحِصارَ المُحكَمَ له حتى رَفَعَ الرايةَ البيضاء، وسَلَّم لها بطلبها، ورَضِيَ أخيرًا بنكاحها إياه.
أما من جانب الخاشع -أي: محمد، استهزاءً به - صلى الله عليه وسلم - كما سيتضح فورًا-، فلا شكَّ أن القارئَ لم يَفُتْه أنه أصبح مَثَلاً، فذًّا في المطاوَعةِ والمُلاينة، "اجلس على فخذي"، يجلس، "تعالى في حِجري" يأتي، "ادخل بين قميصي وجسدي .. " يدخل".
ثم يتحدَّثُ صاحبُ الكتاب عن "خوارق الولد المبروك".

° ويقول عن أمِّ المؤمنين خديجة - رضي الله عنها -: "أطعَمَتْه الخَمير، فصار لها عاشقًا، وكيف لا يفعلُ وهي قد نَقَلَتْه نَقلةً لم يَحلُمْ بها مجرَّدَ حُلم، من عَسِيفِ "أي: أجير" يَكدحُ من مكةَ إلى حُباشة، ومن قريةِ القَدَاسة "أي: مكة" إلى الشام".

° "فقد ذاق "محمد" الحرمانَ، وكابَدَ المَسْغَبَه، وكواه الفَقر، فلا يَسكُنُ رَوعُه، ويهدأُ بالُه، ويُطَمْئِنُ نفسَه، ويُريحُ خاطَره سوى أن يوضعَ المالُ جميعُه بين يديه". وهي جُرأةٌ وصَفاقة -كما يقول المؤلف- في حقِّ الرسول الأعظم لاطمئنانه أن مَن يُهينُهم من المسلمين لا يغضبون بعد أن فَقَدوا كلَّ نَخْوة.

° ثم يَمتهنُ أسمى علاقةٍ زوجيةٍ في تاريخ البشر، بلغةٍ قذرةٍ قائلاً: "الذي تَرجَّح أنه رأى الرسولَ في البداية عَصْلَج (عن التقدم لخطبة خديجة)، وامتَنَع واحتَجَّ .. إلخ ولكنَّ الطاهرةَ -أي: خديجة- بما لها من كَيْس وفَطانةٍ ولباقةٍ وتَجربةٍ في معالجةِ البُعول، استطاعت أن تَثنِيَه عن موقفِه، وتأخذَ منه صَكَّ القبول، وشارةَ الرِّضا، وعلامةَ الوفاق".

° ويتَّهمُ الرسولَ - صلى الله عليه وسلم - بأنه جاهلٌ، وليس أكثرَ من بائع يشتغلُ بأجر قليلٍ عند إحدى مُعلِّمات السوق الكبار قائلاً: "الذي حاز الثقافةَ الدينيةَ آنذاك -أي: في مكةَ عشيَّةَ البَعثةِ النبوية المشرَّفة-، أهمُّ نَفَر من النُّخبةِ القُرَشية، أما الآخرون، وهم العامةُ الذين يَكِدُّون في سبيل لُقمة عيش، فلا يُفكِّرون فيها مُجرَّدَ تفكير؛ إذ هي بالنسبة إليهم تَرَفٌ لا يَقِدرون عليه، ونحن إذا نَظَرْنا إلى الأمر نظرةً عقلانيةً مجردةً، لا بدَّ أن نتساءل: أنَّى لفتًى صغير خَرَج بالكاد من مرحلةِ الطفولة واشتَغَل برعْي الغنم، ثم بعد أن شَبَّ قليلاً عَمِل أجيرًا، أنَّى له أن يَحوزَ ثقافةً دينيةً أو ثقافةً من أيِّ أنوع؟ ".

° وتتحوَّلُ خديجةُ أمُّ المؤمنين على يدِ الكاتبِ اللئيمِ إلى "مُخرجةِ أفلام"، كما يتحوَّل أبو بكر إلى "كومبارس" في فيلم "تصنيع" النبي، الذي سيَضربُ الدنيا ويَقلِبُها رأسًا على عَقِب: "فردٌ واحدٌ من غير هؤلاء -أي: غير ورقة وبحيرَا وعَدَّاس وسرجيوس - أسندت إليه "هندوز" التجربة -يقصد خديجة- دورًا صغيرًا، حقيقةَ أنه لا يعدو ما يؤدِّيه كومبارس في شريطٍ سينمائي، بَيْدَ أنه بكلِّ المقاييس يُعَدُّ مشاركةً، ولو أنها عَجفاءُ هزيلةٌ ضامرةٌ ناحِلةٌ، والفردُ الذي نَعنيه هو أبو بكر بن أبي قحافة".

*** افتراءاتٌ على أمِّ المؤمنين خديجة والصحابة:**

° ويقول المؤلِّف: "إن فكرةَ الكتاب تقومُ على أن ورقةَ بنَ نوفل وخديجةَ بنتَ خُويلد، قد التقطا محمدًا مِن بينِ أهل مكةَ ليُثقِّفاه، "ويُصنْفِراه ويُقَلْوظاه ويُلمِّعاه" -كما يقول المبشِّر الذي وراءه- كي يصنعا منه نبيًّا؛ إذ شاع وقتَها بين العربِ وأهل الكتاب أن هناك نبيًّا قادمًا، فأخذ الجميعُ ينتظرونه، لكنَّ ورقةَ وخديجةَ سَبَقا الباحِثِين، فاختارا محمدًا لِمَا سَمِعاه من الكراماتِ التي كان يقال: إنها تحدُثُ له منذُ أنْ كان في بَطنِ أمِّه وأخضَعاه لبرنامج تدريبيٍّ قاس يتلخَّصُ في أنْ تَقرأ له خديجةُ ما يُترجِمُه ابنُ عمِّها ورقةُ من الإنجيل وتشرحُه له، وتَطلُبُ منه أن يُحفِّظَه، ثم يُعيدَ تسميعَه، بالإضافة إلى تفريغِها إياه من همِّ السَّعي وراءَ المَعاش بوَضع كلِّ ما تَملِكُ من ثَرَواتٍ طائلةٍ بين يديه يفعلُ به ما يشاءُ، مع دَفعهِ إلى غَشَيان الأسواق والتجمُّعاتِ التي يَرتادُها الرهبانُ والمبشِّرون من كلِّ دينٍ كي يحتكَّ بهم،

ويتعلمَ منهم ما ينفعُه مستقبَلاً في الوظيفةِ التي تُعدُّه لها هي وابنُ عمِّها إعدادًا".

° وهو يؤكِّدُ أن "ورقة" كان قَسًّا لكنيسةِ مكةَ وما يجاورُها، وكان كثير من أفرادِ قبيلةِ بني أسدٍ نَصَارى، ومنهم خديجة - رضي الله عنها -.

° ثم يمضي قائلاً: "إنهما قد انتقلا بمحمدٍ بعد ذلك إلى مرحلةٍ أخرى، هي مرحلةُ الوحدةِ والابتعادِ عن الناس بالتحنُّثِ في "غار حراء"، وشَجَّعه بكل ما يساعدُه على أن يَرى في منامِه الرؤى التي يَنبغي أن تحدُثَ للقادم المنتظَر، حتى وقعت الواقعةُ فعلاً، ورأى منامَ الغار الذي خَيَّل إليه أنه هو النبيُّ الموعود، فعندئذٍ أعلنت خديجةُ للعرب -وهي في غاية السعادة بنجاحها هذا الذي لم تكن تتوقَّع رغم ذلك أن يكون بذلك الشكل الباهر- أنهم هم أيضًا قد أصبح لهم نبيٌّ كأهل الكتاب".

° ويقول المؤلف: "إن الكاتبَ يُردِّدُ في غرور وانتفاخ وتَعال أنَّ دراستَه هي دراسةٌ جديدة تمامَ الجِدَّة، رغمَ أن هذه الأفكارَ -وغيرُها كثيرٌ- مأخوذةٌ من كتابِ صَدَر في العام 1979 م في لبنان بعنوان "قس ونبي" لمن سَمَّى نفسه على غلاف الكتاب "أبو موسى الحريري"، والواضحُ أنه نَصراني، وإن كان من غير المعروف هل هو لُبنانيٌّ أصيل، أم من المبشِّرين الذين يَعيشون في لبنان أو يتردَّدون عليه.

* ورقة بن نوفل ليس قسًّا:

أبو موسى الحريري هذا يؤكِّدُ أن الوجودَ النصرانيَّ في مكة -بل في الحجاز كلِّه- قُبيلَ البعثةِ النبويةِ كان كبيرًا، وأن ورقةَ بن نوفل كان قَسًّا لقريش في كنيسةِ مكة، وأنه هو الذي عَقَد قِرانَ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - على خديجة - رضي الله عنها -، وألقى خُطبةَ النِّكاح بوَصفِه كاهنًا يقوم بطُقوس الزواج النصرانية، لا بوَصفِه مجردَ قريبِ للعروس، وأنَّ خديجةَ كانت أنَذَاك على دين النصرانية، وكذلك محمد - عليه السلام -، وأن ورقةَ هو الذي دَرَّبه على التأمُّل الرُّوحيِّ والصلاةِ في "غارِ حراء"، وتولَّى إعلانَ نبوَّتهِ على العرب، فالقَسُّ ورقة هو الذي نَقل كلمةَ "الله" من العِبرية إلى العربية، والنبيُّ قام بتبليغِها إلى قومِه بالعربية، وأن القَسَّ الأستاذ رَغْمَ هذا كان حريصًا على التواري في الظلِّ خَلْفَ تلميذه، وأنَّ النبيَّ التلميذَ قد تَفوَّقَ على أستاذه، وعَمِل على أن تَجِئَ رسالتُه مناسبةً لظروفِ البيئة والمجتمع، وأنه ليس هناك في الحقيقة وَحْيٌ سَماويٌّ، بل مجردُ تلقين بَشَريٍّ من القَسِّ للنبي، وأنَّ واقعة "غار حراء" لم تكن إلَّا رؤيا في المنام لا حقيقةَ لها في الواقع، وأنَّ الوحيَ قد فَتَر مُدَّةً بعدَ وفاةِ ورقةَ، بما يدلُّ على أنه هو مَهدُ الوَحي لا السماءُ ولا جبريل، وأنه إلى جانبِ ورقةَ كان هناك خديجةُ وبَحيرا وأبو بكر.

كما أن الرهبانَ المذكورين في كتاب "قَس ونبي" بصِفَتِهم أصحابَ دَور مؤثِّر في حياةِ محمدٍ هم هم الذين ذكرهم صاحب كتاب "فترة التكوين في حياة الصادق الأمين" كقَسِّ بن ساعِدة وبَحيرا وعَدَّاس وغيرهم، والشيءُ الوحيد الذي يمكنُ أن يميِّزَ بين الكتابَينِ هو أنَّ الأخيرَ يُعطِي لخديجةَ دَورًا أكبرَ في

توجيهِ محمدٍ وإعداده وتصنيعِه أكبرَ ممَّا يُعطيه إياها الكتابُ الأول، وبالمناسبة فكِلا الكاتبَين يؤكِّد أن ما أتى به هو شيءٌ جديد لم يَسبِقْه إليه سابق، وإن كان الحريريُّ يقول ذلك دون طَنطنةٍ أو ثرثرة.

* **تشكيك وبراهين**:

ويُشكِّكُ الكاتبُ في أن "خليل عبد الكريم" هو الذي ألَّف هذا الكتابَ على اعتبار أن ما فيه يَتشابهُ مع كتاب "قس ونبي"، مع اختلافِ بعض التفاصيل هنا وهناك، مما لا يؤثِّرُ في فِكرةِ الكتابين الرئيسية، ممَّا يَعني أن هناك جِهةً واحدةً وتبشيريةً فرنسيةً -حَسْبَ ما يرى المؤلف- وراءَ هذن الكتابين، وَزَّعَتِ الأدوار، بحيث يَبدُوان وكأنهما من تأليف شَخصين مختلفين يحاولان أن يُدخلاَ في رُوع القارئِ المسلم أن محمدًا ما هو إلَّا صنَيعةَ أيدٍ بشريةٍ نصرانية، وأنه لم يأتِ بأيِّ شيءٍ جديد، ولا علاقةَ له بالسماءِ ولا بالوحي الإلهي.

° وممَّا يَجعلُ المؤلِّفَ يستبعدُ تأليفَ "خليل عبد الكريم" للكتاب: "ما فيه من مصطلحاتٍ غريبةٍ لا تعرفُها العقليةُ التي تربَّت في جوٍّ إسلاميٍّ مثل: تسمية أنبياء بني إسرائيل بالبطاركة أو بمرادفها العِبري "الآباء الأولين" وتسميتِه إبراهيمَ ويحيى - عليهما السلام - بـ "إبراهام ويوحنا"، ومثل ذلك اسم "ملاك الرب" الذي تردَّد كثيرًا في الكتاب، وهو مُصطلحٌ نصرانيٌّ لا يمكن أن تخطئَه العينُ ولا الأذُن، كما ينحازُ الكتابُ دون أدنى داع إلى "صَفِيَّةَ" ضدَّ "عائشة"، رافعًا الأولى وقومَها اليهود إلى عَنانِ السماء، ولامزًا الثانيةَ لمزًا يظنُّ أنه

يسيء إليها، وُيحقِّرُ من شأنِها هي وأبيها.

° ومِن الأدلة التي يَسوقُها أيضًا أن الكتاب يُكرِّرُ الاستشهادَ بالكتاب المُقدَّس في مسائِل الرؤى الدينيةِ والوحي باعتباره الفَيصلَ في الموضوع، والقولُ بأنَّ خَلْوةَ محمدٍ في "غار حراء" هي تقليدٌ يهوديٌّ نصرانيٌّ أخذَه - عليه السلام - عن خديجةَ عن ورقةَ عن التوراة والإنجيل، وكذلك اختصارُ اسم "سفر إشعياء" مثلاً إلى "إش" على عادةِ أهل الكتاب، بخلافِ المسلمين الذين يَذكرون الاسمَ في هذه الحالةِ كاملاً، كذلك تَحسَّر الكتابُ على دخول الإسلام مصرَ وتسميته فتحَ عمرو بن العاص لمصر "استعمارًا عربيًّا استيطانيًّا أتت في ركابه قبائلُ كثيرةٌ دَهَسَت صعيدَ مصر المحروسة".

° ومن أوجُهِ المشابَهاتِ بين الكتابَين تفسيرُهما الخاطئُ للآياتِ القرآنية، فنَرى المسمَّى "بأبي موسى الحريري" يُفسِّرُ قوله تعالى في سورة "الأحزاب": {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ} [الأحزاب: 22] بالقول: "إن المراد بـ "الأحزاب"، فِرَقُ النصارى التي تتصارع فيما بينها حولَ طبيعةِ المسيح وصَلْبه"، وما إلى ذلك .. مع أن الآيةَ الكريمةَ إنما تتحدَّثُ عن أحزابِ المشركين الذين تجمَّعوا من كلِّ صوبِ لمحاربةِ النبيِّ والمسلمين في غزوة "الخندق".

° وبالمِثل يَشرحُ قولَه تعالى في سورة "المائدة": {لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} [المائدة: 68] بأن

الخِطابَ فيه موجَّهٌ إلى المسلمين، وأن القرآنَ يُطالبُهم بالعمل بالتوراةِ والإنجيل والقرآن جميعًا، لا بالقرآن وحده، وقام باقتطاع عبارة {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ}، التي تدلُّ دِلالةً قاطعةً على أنَّ الحديثَ موجَّهٌ لليهود والنصارى لا للمسلمين.

وعلى نفس النهج يتناولُ قولَه تعالى في الآيات التالية: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ} [التوبة: 112]، {يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} [المائدة: 55]، و {سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ} [الفتح: 29]، قائلاً: "إنها تتحدَّثُ عن رُهبان النصارى وقِسِّيسيهم"، مع أنه لا صِلةَ بينها وبين الرهبان والقِسِّيسين على أيِّ نحو من الأنحاء؛ إذ إنها تتحدَّثُ عن اتباع محمد - صلى الله عليه وسلم -.

ثم إن كتابِ خليل عبد الكريم يَستعملُ أسماءً غريبةً بدلاً من لَقَب "النبوة" أو "الرسالة" بطريقةٍ تَنُمُّ عن استهزاءٍ مثل: "الخاشع، والخاضع، والمسعود، وآكل الشعير، والمعطى الوسيلة، وسعد الخلائق، والبهيِّ، والخالص، وراكب الأتان، وصاحب النعلين... " إلخ.

* هجومٌ أعمى تحت عَباءة إسلامية:

ويَرى المؤلِّفُ أن حَمْلَ كتابِ يُهاجِمُ دينَنا اسمَ مؤلِّفٍ إسلاميٍّ أقربُ أن يكونَ له تأثيرٌ أقوى في نفوس القُرَّاء المسلمين، والجميعُ يعرفُ قِصةَ الرسالة التي حَصَل بها "منصور فهمي" على درجةِ الدكتوراة في أوائل القرن العشرين مِن فرنسا، والتي صَوَّب فيها سِهامَ الاتهام الحَمْقاءَ إلى الإسلام ورسوله - صلى الله عليه وسلم -، ثم تبرَّأ ممَّا جاء فيها، وعاد إلى دِينِه، هذه الرسالةُ قام بطبعها وكتابتها بعضُ المستشرقين في

هولندا، وأخذوا فهمي إلى هناك، واقتَصَر دَورُه على قبولِ وضع اسمِه عليها، حتى تَرُوجَ بين المسلمين ويكونَ أثرُها أعنفَ.
كذلك أورد د. "محمد سيد أحمد المسير" حالةً أخرى، وهي كتاب: "لماذا القرآن؟ " الذي صَدَر في ليبيا لمؤلِّفٍ يُدعى د. "عبد الله الخليفة"، وكتاب: "قراءة في صحيح البخاري " لمؤلِّف يدعى د. "أحمد صبحي"، فهما كتابان متشابهان تشابهًا ضخمًا، بل يكادان يتطابقان، ومع ذلك فقد صَدَر كلٌّ منهما في بلدٍ مختلفٍ والمؤلِّفِ مختلف.
ويَسعى المؤلِّفُ إلى كشفِ بعضِ التناقضاتِ في كتاب "فترة التكوين"، فيلاحِظُ أن كتاب: "شدُّوا الربابةَ بأحوال مجتمع الصحابة - محمد والصحابة"، الذي يحملُ اسمَ خليل عبد الكريم أيضًا، يتَّهمُ الرسولَ - صلى الله عليه وسلم - بأنه كان يَحرصُ على الاطلاع على الكَنز المَعرفيِّ الدينيِّ الثمين، الذي كان في جُعْبةِ سلمانَ الفارسيِّ ليستعينَ به في صناعة القرآن، متسائِلاً: لماذا يحرصُ النبيُّ على ذلك إذا كان ورقةُ وخديجةُ -حَسْبَما جاء في كتاب "فترة التكوين"- ظلَّا يُعلِّمانِه ويَقرآن عليه الكُتبَ الدينية، ويَشرحانِها له، وَيستعيدانِه ما سَمعَ نحوَ خَمْسَةَ عَشَرَ عامًا إلى أن تأكَّد لها أنه قد تمَّت -كما يقول الكتاب- بَرْمَجَتُه بما لَقَّنَّاه إياه، حتى صارَ لا يَخرمُ منه شيئًا بسبب ذاكرتِه الحديديةِ التي لم يكن يُفلِتُ منها شيء.
وفي الصفحة (19) نراه يؤكِّدُ أن تَجربةَ تصنيع النبي التي قامت بها خديجةُ وورقةُ لا تَنفِي جانبَها الغَيبي؛ إذ لا تعارُضَ بين الأمرَين، لكنه بعدَ قليل يَبني أن الإيمانَ بالخوارقِ والمعجزاتِ التي

يُسمِّيها "مخاريقَ وشعبذات"، وهي تَسميةٌ لها دلالتُها المفضوحةُ التي لا تَخفَى على أحدٍ، وهو جُزءٌ من ثقافةِ البيئةِ العربيةِ المتخلِّفة.
وزاد فنَفَى في الصفحة (185) أن تكون حادثةُ "الغار" من الخوارق، بل هي نتيجةُ المجهودِ البشريِّ الذي قام به الاثنان.

° والكتابُ يُكرِّرُ أن ورقةَ وخديجةَ قد تعاوَنا إلى أقصى مَدًى بهَدفِ تثقيفِ محمدٍ وقَلْوَظَتِه وصَنْفَرَتهِ وتَلْميعه -كما يقول-، فكيف يتمُّ ذلك إذا كان الكتابُ نفسُه يَذكرُ أن ورقةَ أراد قبلَ ذلك أن يتزوَّجَ خديجة، لكنه لم يوفَّق؛ لأن أخته حاولت أن يعاشِرَها عبد الله -والدُ الرسول عليه السلام- كيما ينتقلَ إليها النورُ المقدَّس، الذي كان في وجهه، فصَدَّها وذَهَب إلى آمِنة زوجته، فعاشَرَها، فحَمَلت منه بالقادم المنتظَر (ص 36)، فكيف يمكنُ أن يَنسَى ورقةُ هذا كلَّه، ويَمُدُّ يدَ التعاون إلى خديجةَ ليصنعَ من محمدٍ نبيًّا، رَغمَ أنه نال هو وأختُه على يدِه ويدِ أبيه الهزيمةَ المُذِلَّة؟!.

° وفي مواضعَ عديدةٍ من الكتاب (ص 39، 41، 42، 51، 52، 64، 66، 310)، يقول: "إن خديجة قد جَفَّ ريقُها وداخت السَّبْعَ دُوخات، حتى وافق إمامُ الأوَّلين والآخِرين على خِطبتها، وظَلَّت تُحاصرُه إلى أن سَلَّم لها، ورَفَع الرايةَ البيضاءَ بعدَه لمصلحةٍ منه شديدة".

° ثم نراه في موضع آخَرَ يُعدِّدُ الفوارقَ التي تُميِّزُ خديجةَ على محمدٍ في الحَسَبِ والمالِ والخبرةِ

والثقافة، ثم يَختمُ قائلاً: "إنَّ محمدًا لم يكن يُصدِّقُ أن خديجةَ ترضَى بالزواج منه" (ص 289).
فبأيِّ الكلامَين نأخذ؟ حسبُنا اللهُ ونعم الوكيل.
ويَمضي المؤلِّفُ مع مخازي الكتابِ الأخرى متسائلاً عن فِكرته الأساسية: إذا كانت خديجةُ تؤمنُ بأن هناك نبيًّا قادمًا، فكيف يَخطُرُ في ذهنِها -مجردَ خُطور- أن تقومَ هي بتعليمِه وتدريبه وتثقيفِه وتوجيهه، أو حَسْبَ لُغتِه "صَنْفَرَتِه وقَلْوَظَتِه وتلميعِه"؟ كيف يا تُرى لبَشَر عاديٍّ أن يصنعَ نبيًّا؟ وحتى لو جارَينْاه، فهل تَستغرقُ هذه العمليةُ خمسةَ عشَرَ عامًا؟.
إن المقصودَ بالتثقيف هنا هو قراءةُ التوراةِ والإنجيل، وشرحُهما له، فما الذي فيهما مما يمكنُ أن يستغرقَ شرحُه وفَهمُه خمسَةَ عَشَر عامًا؟ ولماذا أرادت خديجةُ أصلاً أن تصنعَ نبيًّا ما دام الأمرُ كلُّه تدبيرًا بشريًّا؟ وأيُّ تدبير؟ تدبيرٌ هو إلى التآمُرِ أقربُ منه إلى استقامةِ الخُلُقِ والضمير.

° ويقول الكتاب: إن مكةَ بها أبرشية، وتَعُجُّ بالنصارى، ولم يُوردْ أيَّ مُصدر لهذا الكلام، وَيردُّ عليه المؤلِّفُ بالقول: إنَّ دائرةَ المعارف الإسلاميةِ لم تَذكرْ أن مكةَ كان بها كنيسة، كما أن المبشِّرَ "بلابنس" يقول في كتابه: (Islam Croyances) " إن النصارى المكيِّين كانوا حِفنةً ضئيلةً".
فما معنى هذه الطنطنةِ بأن كثيرين من بَنِي أسدٍ كانوا نصارى؟.
إنَّ الروايات لا تَذكرُ لنا منهم سوى اثنين، هما ورقة، وابن عمِّه عثمانُ بن الحُويرث، الذي ذَهَب إلى قيصر، واقتَرح عليه أن يُولِّيَه مكةَ، ففعل، فلما عاد ودعا قومَه إلى النصرانية هَبُّوا في وجهِ

على بَكرةِ أبيهم، وطَرَدوه شرَّ طَرْدة، مما يدلُّ على أن هذه الديانةَ لم يكن لها أيُّ أتباع تقريبًا في مكة.

° ويَدَّعي الكتابُ أن خديجةَ - رضي الله عنها - كانت نصرانية، ولم ترضَ أن يتزوَّج عليها النبيُّ - صلى الله عليه وسلم -، وتخيَّل حِوارًا بين خديجةَ - رضي الله عنها - والرسول الأكرم - صلى الله عليه وسلم - تقول فيه: "إنَّ ثقافتَنَا الدينية تَحظُره حَظْرًا باتًّا، وماذا يقول بَحِيرَا وورقةُ وعَدَّاس، وناضحٌ ومَيسرة عنِّي؟ " سيقولون: إن ملفِّقَ هذا الكلام مُبشِّرٌ رَقيع، وسيقولون: إن لجدِّ خديجةَ وأبيها وأعمامِها -نوفل وحبيب والمطلب- وأخيها العوَّامِ أكثرَ من زوجة، بل إن أخاها العوَّامَ قد خَلَف أباه على إحدى زوجاته.
وإذا كانت خديجةُ هي التي صَنعت من محمد نبيًّا، فما العملُ إذا قلنا له: إنَّ عددًا من إخوةِ خديجةَ قد تأخَّروا في الإيمان بنبوَّةِ محمدٍ وحاربوه، بل إن بعضَهم مات وهو كافرٌ به؟ ومع هذا لم نَسمع أيًّا منهم يَرفعُ في وجهه - صلى الله عليه وسلم - هذا السلاحَ؟ لماذا لم يُعايِرْه أحدٌ منهم بأن أختَهم هي التي صَنْفَرَتْه وقَلْوَظَته؟.

* مقتطفات من الكتاب:
° "إن مرجعيَّته دينيةٌ ذاتُ مَقام محمود، ورُتبةٍ عالية، ودرجةٍ رفيعة
لدى خديجة، أشارت عليها بأنَّ هذا الفتى هو المأمول، وأنه حَتمٌ لازمٌ أن تُباعِلَه لكي تبدأ معه تَجربةَ التأهيل والإعدادِ والتصنيع والتحضير والصَّقْلِ والتهيئةِ الضرورية، كيما يَنتقلُ مِن فتًى

قُرشيٍّ هاشميٍّ إلى القادم المنتظر" (ص 38).

° "كان الأسى المريرُ على فَقدِ خديجةَ أمرٌ بديهي؛ لأنها الأمُّ الرؤومُ، والوالدةُ الحنون، والزوجةُ الحبيبة التي آزَرَتْه، والتي لولاها لَمَا أكمَلَ التجربةَ حتى نهايتها، وهي التي فَتحت له خزائنَها يَغرفُ منها كيفما يشاء، وهي التي أتاحت له التماسَّ بالقَسِّ "ورقة" وغيره، مثل: "عداس وبحيرا"، وقضاءِ الليالي الطِّوال مع ابن نَوفل في المُدارسةِ والمذاكرة والمحاورة" (ص 95).

° "ولم يَقتصر اعتناقُ بَني أسدٍ للنصرانيةِ على الرجال فقط، بل تعدَّاهم إلى النِّسون، فهناك ثالثٌ أو ثالثةٌ أبناءُ عمِّ الطاهرة الذين يَتنصَّرون وهي قُتيلة أو أُمُّ قتال، وقيل: فاطمة بنت نوفل، أي: أخت ورقة، وهي واحدةٌ من المرأتين اللتين تعرَّضتا لأبي محمدٍ عبدِ الله بن عبد المطلب، وهو في طريقه مع أبيه كيما ينكحُ آمنةَ، بعد أن رأتا بين عينيه نورَ النبوة، وله مئةٌ من الإبل" (ص 117).

° "والخلاصة أن الحَلْقةَ الكتابيةَ الخارجيةَ التي رَبطت خديجةُ حَبْلَها بها، وتَشكَّلت من القَسِّ "ورقة" والراهب "عدَّاس" والراهب "سرجيوس"، ومُقدَّمُها الراهب "بحيرا"، قد وَصَلت إلى درجةٍ رفيعةٍ من العِلم بالكتاب، وهذا أمرٌ له دلالة، وهو أن الطاهرةَ شدَّتها صِلةٌ وثيقةٌ، وعلاقةٌ حميمةٌ، وأصِرةٌ متينةٌ برؤوس أهل الكتاب في مكة والحجاز، وإلَّا لَمَا نَجحت في إنجازِ التجربة الفذَّة" (ص 143).

° "ابنةُ أبي بكر تلميذةٌ وتابعةٌ ومتلقِّيةٌ، أمَّا سيدةُ نساءِ الدنيا فهي الأمُّ الرؤوم، وهندوز التجربة التي خرج منها "صاحبُ المَغنم" من الفتَى الهاشميِّ الذي طال التشوُّقُ إليه، والذي رَدَّ الاعتبارَ إلى العرب، وصار لهم حاملَ كتابِ مثل "موسى" بالنسبة لليهود، و"عيسى" عند النصارى، ابنةُ أبي بكر طَفِقَتْ تُناديه بصفةٍ مستمرة: "يا رسول الله"، أما سيِّدةُ نِسوان قريش، فلمَّا توجِّهُ إليه خِطابًا تقول: "يا أبا القاسم"، أو "يا محمد"، هي التي تُوجِّهُ وتَطلُبُ إليه، وتُشيرُ عليه، بينما ابنةُ أبي بكر، فعلى العكس، هي التي تُلبِّي وتُطيع وتأتمرُ بأمره، وتُنفِّذُ وتَسمعُ ... إلخ، وهو الفَرقُ الواضحُ الذي لا يَحتاجُ إلى زكانةٍ لمعرفته أو حتى إلى لَمسِه باليدِ بين خطابِ الهندوز واستجابةِ التلميذة" (ص 154).

° "ووَلَجْنا بوابة التصديق (للمعجزات) لا من بوابةِ المعقولية ومَدخل المنطقيَّة، ولكن من طريق اتفاقِ المعجزات مع المستوى الحضاريِّ والثقافيِّ والمعرفيِّ والعِلميِّ والإدراكيِّ، ومطابقتِها لخصائص مجتمعِهم وبيئتِهم ووسطِهم وتفكيرهم، مِن هذه المناظير تصبحُ صحيحةً، بل ونُصدِّقُهم، ونَفهمُ عِلَّةَ تصديقِهم إيَّاها أو قبولِها ممَّن يتفوَّهُ بها، لماذا؟ لأننا قِسناها بمقاييسهم، ووَزَنَّاها بموازينِهم، وكِلناها بمكاييلهم، ونَظَرنا إليها بعيونهم، وعايرْناها بمعاييرهم" (ص 260).

° "مِن الأسباب القويَّةِ التي حالت دُون زواج محمدٍ بزوجةٍ أخرى على الطاهرة، هو أنَّ "الثقافةَ الدينيةَ" التي هَيمنت على بَنِي أسدٍ رَهطِ أمِّ هندٍ

تُحرِّمُ الجَمْعَ يين بَعْلَتَينِ، كما أنها تُحرِّمُ الطلاق؛ لأن ما رَبَطه الربُّ لا يَفُكُّه العبد، هذا المَلْحَظُ البالغُ الأهميةُ غاب عن فَطانةِ كلِّ مَن زَبَرَ "نَسَخ" سُطورًا في السيرة المحمدية المِعطار، سواءٌ من القُدامى والمُحدَثين من العرب والأعاجم والفرنج" (ص 278 - 279).

° "ومن ناحيةٍ أخرى فقد ذاق الحِرمانَ، وكابَدَ المَسْغَبة، وكَوَاهُ الفَقر، فلا يَسكنُ رَوعُه مِن هذا الجانب، ويُهدِّئُ بالَه، ويُطَمْئِنُ نفسَه، ويُريحُ خاطِرَه سوى أن يوضَعَ المالُ جميعُه بين يديه، ومن ناحيةٍ ثالثةٍ بهدفِ أن يُحكِمَ قبضةَ رعايتها، وتشدَّ وَثاقَ عنايتِها له، وتُضاعِفَ من لَحظِها إياه، وجُمَّاعُ ذَيَّاكَ كلِّه يؤدِّي إلى سُهولةِ المطاوعة، وُيسر المهاوَدة، وسَلَسِ المُوافقة، ممَّا يُوصِّلُ في نهايةِ الأمر إلى نجاحِ التجربة" (ص 309).

° "في ليالي مكةَ الطويلة، تُشمِّرُ أمُّ هندٍ عن ساعدها، وتجلسُ إلى ابنها وزوجِها "الأمين"، تقرأُ على مَهَل، وتُطالعُ له بتؤُدةٍ صفحاتٍ من تلك الأبعاضِ والإصحاحات، وتَشرحُها له بَقدْرِ ما تتَّسعُ ثقافتُها الدينيةُ التي حَصَّلَتْها، كلُّ هذا مع استمراره في المَشي في الأسواق والسماع والمُحاورَة؛ لأنَّ هذه شعيرةٌ أساسيةٌ قَنواتُها متباينةٌ ودائمةُ الفَيض، وإذا أُشكِلَ عليها أمرٌ، أو التَبَس عليها شأنٌ، أو أعجَزَتْها مسألةٌ هَرَعتِ إلى اليعسوب "ورقة" تستوضحُه ليفسِّرَ لها ما أُبهم، وُيبيِّنَ لها ما غَمُض، وَيشرحَ ما خَفِيَ.
في تلك المدرسةِ أعطى اليعسوبُ خلاصةَ عِلمِه، وحَشاشةَ معارِفِه، وزُبْدَةَ تحصيلِه إلى "المعصوم"

بحضور الطاهرة، وخديجة تُنصِتُ وتُلاحِظُ وتُشجِّعُ "بطل التجربة" على مَزيدٍ من التدقيق، ومضاعفةِ التمحيص، والإكثار من المراجعة؛ لأنها لم تَكتفِ بإسْداءِ الفَضل الماديِّ (وهو إعفاؤه من لجري وراءَ لُقمةِ العَيش، وإطعامُه الخَمير، وإلباسُه الحرير)، بل
أضافت إليه جَميلاً معنويًّا يَبُزُّه ويفوقه" (ص 330).

° "تأثَّر محمدٌ تأثرًا عميقًا إذن بما قُرئ عليه بمعرفة الطاهرة من الإصحاحاتِ والأبعاض، التي ترجمها "ورقةُ" إلى اللغة العربية، وما حَصَّله قَبلَها وهو يَجُوبُ الأسواقَ من قَصَص أنبياءِ بني إسرائيل والرائين (جمع راءٍ من رؤيا)، وما يَسمعونه من أصواتٍ مثل: إشعيا وعاموس" (ص 356).

° "إعلان نجاح التجربةِ العُظمى، وبوقوعها حُقَّ لخديجةَ أن تخاطِبَ أهلَ مكةَ بأعلى صوتها: ها هو القادمُ المأمولُ الذي طال انتظارُكم له، وكذا سائرُ عَرَب الجزيرة لتُفاخِروا به اليهودَ، ولتنافِروا به النصارى؛ إذ لم يَعُدْ لأيٍّ منهما فضلٌ عليكم، وسوف يَرفعُ بيمينه كتابًا مِثلَ كُتُبهم، وستَرَونه رائعًا" (ص 368).

° "والذي نَدريه -على وجهِ التحقيق- أنه لا يَغُضُّ من قَدْر "الأطيب" أن يأتيَ لقاؤه بجبريل أو ملاك الرب أو الشيء .. إلخ في المنام، وأنه مجرد رؤيا؛ لأن إبراهيمَ أبا الأنبياء رأى مع المنام أنه يَذبحُ ابنَه، ويوسُفُ الجميل المليحُ الذي استأثر بشَطر الحسن -وتَرك لسائِرِ البشرِ ذكورًا وإناثًا منذ زمانِه

حتى الآن الشطرَ الآخر- رأى عِدَّةَ أحلام نصَّ عليها القرآنُ المجيد، فَضلاً عن أنَّ عددًا من أنبياء بني إسرائيلَ رأى رُؤًى، بل مِن بين هؤلاءِ مَن أَخَذ يُصرِّحُ بأن كلامَ الربِّ الذي يَنقُلُه إلى بني إسرائيل إنما جاء وحيًا مناميًّا، إذن لو دَرَس أولئك الكُتَّابُ المعاصِرون ورجالُ مؤسَّسةِ شؤون التقديس نُتَفًا في عِلمِ الأديان المقارَن، أو طَرَفًا من تاريخ الأديان لَفَقُهوا أنَّ بُدُوَّ المَلاك جبرائيل "إلهي" وهو نَعسانُ في "مغارة حِرى"، أمرٌ لا غُبارَ عليه، ولا يَهبطُ بُوصةً واحدةً بمقامِهِ العالي ودرجتِه الرفيعة" (389 - 391) (1).

في ذِمَّةِ العلماءِ هذا كُلُّه ... إن كان فيما بينَنَا علماءُ

• قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن الله تعالى لا يَقبِضُ العلمَ انتزاعًا يَنتزعُه من العِباد، ولكنْ يَقبِضُ العلمَ بقَبض العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالمًا، اتَّخَذَ الناسُ رؤساء جُهَّالاً، فسُئِلوا، فأفَتوا بغيرِ علمٍ، فضَلُّوا وأضلُّوا" (2).

• وقال - صلى الله عليه وسلم -: "إنَّ اللهَ لا يَنزعُ العِلمَ منكم بعد ما أعطاكموه انتزاعًا، ولكن يَقبِضُ العلماء بعِلمهم، ويَبقى جُهَّالٌ، فيُسألون، فيُفتُون، فيَضِلُّون ويُضِلُّون" (3).

° وعن ابن مسعود - رضي الله عنه -: "قُرَّاؤُكم يَذهبون، ويتَّخذُ الناسُ رُؤساءَ جُهَّالاً يَقِيسون الأمورَ برأيهم".

---

(1) انظر مجلة "حصاد الفكر" العدد (168) ربيع الأول 1427 هـ - أبريل 2006 م (ص 17 - 24).

(2) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي، وابن ماجه عن ابن عمرو.

(3) حسن: رواه الطبراني في "الأوسط" عن أبي هريرة، وحسَّنه الألباني في "صحيح الجامع" رقم (1857).